التحقيق والإيضاح

لكثير من مسائل

الحج والعمرة والزيارة

فضيلة الشيخ

أ.د. عبد الله بن عبد الرحيم بن حسين البخاري

حفظه الله

miraath.net

ميراث الأنبياء

Miraath.Net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسرُّ مَوْقِعَ مِيرَاثِ الأَنبِيَاءِ أَن يُقَدِّمَ لَكُم تَسْجِيلًا لدرس في شرح كتاب

التَّحقِيقُ والإيضاح لكثير من مسائل الحجِّ والعُمْرة والزِّيارة

على ضَوء الكتاب والسُّنة

للإمام عبد العزيز بن عبدِالله بن باز

- رحمه الله تعالى -

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبدالله بن عبدالرحيم بن حسين البخاري

- حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى -

في مسجد بني سلِمة بالمدينة النبوية ضمن فعاليات التَّوعية الإِسلامية في الحجِّ عام ١٤٣٤هـ ،

نسأل الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أن ينفع به الجميع .

الدَّرْسُ الثالث

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم، الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا مُحَمَّدٍ، وعلى آلهِ وصحبهِ أَجمعِين، أمَّا بعد:

فقالَ الإمامُ العَلَمُ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى- وغفر له ولشيخنا ولوالدينا والمسلمين:

المتن:

مسألةٌ: الْكَسْبُ الطَّيِّبُ للحاجِّ والمعتَمِرِ

وينبغي أن يَنْتَخِبَ لِحَجِّهِ وعمرتِهِ نفقةً طيبة من مال حلال؛

لما صَحَّ عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قالَ: «إِنَّ اللَّهَ-تَعَالَى- طَيِّبٌ، لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»،

وروَى الطَبرانيُّ عن أبي هريرة -رضيَ الله عنه- قالَ: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ حَاجًّا بِنَفَقَةٍ طَيِّبَةٍ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ فَنَادَى: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، زَادُكَ حَلَالٌ، وَرَاحِلَتُكَ حَلَالٌ، وَحَجُّكَ مَبْرُورٌ غَيْرُ مَأْزُورٍ.

وَإِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ بِالنَّفَقَةِ الْخَبِيثَةِ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ فَنَادَى: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لَا لَبَّيْكَ وَلَا سَعْدَيْكَ، زَادُكَ حَرَامٌ، وَنَفَقَتُكَ حَرَامٌ، وَحَجُّكَ غَيْرُ مَبْرُورٍ».

الشرح:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وآله وصحبِه وسلَّم، وبعد:

فهذه مسألةٌ في هذا الفصل؛ وهو الفصل الثاني من رسالة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله تعالى- المُسَمَّاةِ بـ: «التحقيق والإيضاح لكثيرٍ من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسُّنة».

قال: "مسألةٌ: الْكَسْبُ الطَّيِّبُ للحاجِّ والمعتَمِرِ"

قال: "وينبغي أن يَنْتَخِبَ لِحَجِّهِ وعمرتِهِ نفقةً طيبةً من مال حلال" أي: مما ينبغي على الحاج أن يتزود به من المال؛ أن يكون مالًا حلالًا لأداء هذا النُّسك العظيم، سواءً كان حجًا أو عمرة.

قال: "لما صَحَّ عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قالَ: «إِنَّ اللهَ -تَعَالَى- طَيِّبٌ، لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»".

هكذا قال الشيخ -رحمه الله-: "لما صَحَّ عنه" ولم يَعزُهُ إلى مصدرٍ، وهو حديثٌ صحيحٌ، أخرجه الإمامُ مسلمٌ -رحمه الله تعالى- في صحيحه من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه-.

وهذا الحديث قال فيه العلامة النووي -رحمه الله تعالى- في شرح مسلم: "هذا الحديث هو أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام، ومباني الأحكام"، قال: "وقد جمعت منها أربعين حديثًا في جزءٍ" هذا كلامه في شرح مسلمٍ -كما قلت-، يقصدُ -رحمه الله- رسالته المشهورة: الأربعين النووية، ثم قال -رحمه الله-: "وفيه الحثُّ على الإنفاق من الحلال، والنهيُ عن الإنفاق من غيره" انتهى كلامه -رحمه الله-.

هذا الحديث يقول النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: «إِنَّ اللهَ -تَعَالَى- طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْـمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْـمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ المؤمنون: ٥١ وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ البقرة: ١٧٢، ثُمَّ ذَكَرَ الرَجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ، أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ؛ فَأَنَّى يُستجابُ لذلك؟».

والشاهد منه كما قال الشيخ -رحمه الله- ممَّا ذكر من الحديث هذا المطوَّل: «إِنَّ اللهَ -تَعَالَى- طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا».

ثمَّ -أيضًا- دلَّلَ على هذه المسألة، قال: "ورَوَى الطَبرانيُّ عن أبي هريرة -رضيَ الله عنه- قالَ: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ حَاجًّا بِنَفَقَةٍ طَيِّبَةٍ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ فَنَادَى: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ»" الحديث إلى آخره.

هذا الحديث كما قال الشيخ -رحمه الله-: "رَوَى الطَبرانيُّ" ولم يحكم عليه بشيء هنا، وهذا الحديث عند الطبراني في: الأوسط، هو من طريق سعيد بن سليمان، عن سليمان بن داود اليمامي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة-رضي الله تعالى عنه-، قال الحافظ الهيثمي في: المجمع؛ مجمع الزوائد أعني: "فيه سليمان بن داود اليمامي وهو ضعيفٌ" انتهى كلامه.

وهذا الحديث ضَعَّفَهُ الإمام ابن رجب -رحمه الله- في: جامع العلوم والحكم، والإسناد فيه سليمان بن داود اليمامي، قال فيه الإمام البخاري: **"منكر الحديث"**، وقال الإمام أبو حاتم: **"ضعيف الحديث، منكر الحديث، ما أعلم له حديثًا صحيحًا"**.

ولذا حكم العلامة الألباني -رحمه الله- على الحديث في: ضعيف الترغيب والترهيب بأنه ضعيفٌ جدًّا، وهو كذلك.

أقول: ولعل في الحديث السابق؛ حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- المذكور أولًا في هذه المسألة غُنية وكفاية، وأنه يجب على الحاج، ويتوجب عليه أن يتحرَّى النفقة الحلال، وهذه النفقة التي يجب أن يتحراها -أعني من الحلال-، يتحراها كل مسلمٍ في جميع أموره، ومن ذلك: إذا ما قام بهذا النسك العظيم، أعني: الحجِّ أو العمرة.

لهذا قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله- في: جامع العلوم: **"في هذا الحديث** -يقصد حديث أبي هريرة- **إشارةٌ إلى أنه لا يُقبل العمل ولا يزكوا إلا بأكل الحلال، وأن أكل الحرام يُفسد العمل ويمنع قَبوله"** ثم ذكر الآيات الواردة في حديث أبي هريرة آنفة الذكر، وقال: **"والمراد بهذا أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيِّبات التي هي الحلال، وبالعمل الصالح"**، ثم قال: **"وقد اختلف العلماء في حجِّ من حجَّ بمالٍ حرام، ومن صلَّى في ثوبٍ حرام، هل يسقط عنه فرض الصلاةِ والحجِّ بذلك؟ قال: روايتان عن أحمد"** أي: أنه يسقط، ورواية لا يسقط.

إذًا الأمر -أقول- خطيرٌ، ويجب على العبد أن يتحرَّى الحلال في مطعمه، ومشربه، وملبسه، ومأكله، وفي أمره كله، ويتأكد الأمر أكثر وأكثر فيما إذا ما قام بعملٍ يتقرب به إلى الله -جل وعلا- كمِثل نُسك الحجِّ العظيم.

المتن:

قال-رحمه الله تعالى-:

وينبغِي للحاجِّ الاستغناءُ عمَّا فِي أيدِي النَّاسِ، والتَّعففِ عن سؤالِهم؛

لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»،

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ».

الشرح:

ثم هنا مسألة ثالثة في الباب أو في الفصل، مُعَنْوَنٌ لها في هذه النسخة: "مسألة: علَى الحاجِّ أن يَسْتعِفَّ عمَّا في أيدي النَّاسِ" مُعَنْوَنٌ لها، إذا لم تكن في نسخكم فأضيفوها، "علَى الحاجِّ أن يَسْتعِفَّ عمَّا في أيدي النَّاسِ".

قال -رحمه الله-: " **وينبغِي للحاجِّ الاستغناءُ عمَّا فِي أيدِي النَّاسِ، والتَّعففِ عن سؤالِهم؛ لقوله -صلى الله عليه وسلم-:** «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ»"

هذا الحديث الأول الذي ذكره الشيخ هنا، حديثٌ أخرجه الشيخان في الصحيحين من حديث أبي سعيدٍ الخدري -رضي الله تعالى عنه-، وفيه: «إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ»

وفيه؛ في ختمه قال: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».

وجاء هذا الحديث؛ أعني: ما ذكره الشيخ هنا من قوله -عليه الصلاة والسلام-: «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ».

أيضًا جاء من حديث حكيم بن حزام -رضي الله تعالى عنه- عند البخاري في الصحيح، وفيه قوله -صلى الله عليه وسلم-: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وابْدَأْ بمَن تَعُولُ، وخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، ومَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ» الحديث.

وهذان الحديثان فيهما: الحضُّ على الاستغناء عن الناس، وأن يتعفف المرء عن سؤالهم، ويكون تَعَفُّفُه بالصبر، والتوكل على الله -جل وعلا-، وانتظار الفرج منه -جل في عُلاه-، وأن

الصبر أفضل ما يُعطاه المرء؛ لكون الجزاء على الصبر غير مُقَدَّرٍ ولا محدود، كما قال الحافظ -رحمه الله-، الله -جل وعلا- يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ الزمر: ١٠، فيجب الاستغناء والاستعفاف عن سؤال الناس، وأن يتصبر المرء، وأن يتحلى بهذا الخُلق العظيم، أعني: الصبر والعفة عما في أيدي الناس، فـ «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى» كما قال - صلى الله عليه وآله وسلم-.

ثم ذكر أيضًا، قال: وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»

«مُزْعَةُ» أي قطعة، وتُضبط هكذا: بضم الميم وإسكان الزَّاي، ولها ضبط آخر: بكسر الميم وإسكان الزَّاي: «مِزْعَةُ» كلاهما ضبطٌ صحيح.

هذا الحديثُ أيضًا حديثٌ في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما-، وقد ذكره البخاري -رحمه الله- في صحيحه في: كتاب الزكاة، باب: من سأل الناس تَكَثُّرًا، وهو وعيدٌ شديدٌ في هذا الحديث في من سأل الناس تَكَثُّرًا، وهذا السائلُ هو في غِنًى ولله الحمد، ولا تحِل له الصدقة، وهذا يُخشى عليه من الدخول في هذا الوعيد، فيه تحذيرٌ ووعيدٌ شديد من سؤال الناس والتكثر بهذا السؤال مِمَّن لا تحل له الصدقة، أما من كان مضطرًّا مُحتاجًا إلى ذلك فمباحٌ له؛ لكن ينبغي أن يَسْتَعِفَّ أيضًا، وأن يستغنيَ عن ذلك.

المتن:

ويجبُ على الحاجِّ أن يقصدَ بحجِّه وعمرتِه وجهَ اللهِ والدارَ الآخرةَ،
والتقربَ إلى اللهِ بما يُرضيهِ من الأقوالِ والأعمالِ في تلك المواضعِ الشريفةِ،
ويحذرَ كل الحذرِ من أن يقصد بحجه الدنيا وحُطامها، أو الرياء والسمعة والمفاخرة بذلك، فإنَّ ذلك من أقبح المقاصد، وسببٌ لحبوط العمل وعدمِ قَبوله،

كما قال -تعالى-: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ هود: ١٥-١٦

وقال -تعالى-: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ الإسراء: ١٨-١٩،

وصحَّ عنهُ -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» رواه مسلم.

الشرح:

ثم انتقل الشيخ -رحمه الله- إلى مسألة أخرى -أيضًا- متعلقة بهذا الفصل، وعُنْوِنَ لها في هذه النسخة: "مسألةٌ: وجوبُ الإخلاصِ".

قال -رحمه الله-:"ويجبُ على الحاجِّ أن يقصدَ بحجِّه وعمرتِه وجهَ اللهِ والدارَ الآخرةَ"

يريد -رحمه الله- بهذا أن يُذكِّرَ الحاج والمعتمر أن يستحضر الإخلاص لله -جل وعلا- في هذه العبادة العظيمة، وهذه الشعيرة العظيمة؛ ذلك أن الله -جل وعلا- يقول في كتابه العزيز: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ البينة: ٥ الآية،

والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول كما في الصحيحين من حديث عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ-: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

فيجب على العبدِ أن يُخلص لله -جل وعلا- الأقوال والأفعال دائمًا وأبدًا، ويتأكد الأمر إذا ما قَدِمَ لأداء هذا النسك العظيم، أعني: الحج أو العمرة، فيكون القصدُ هو ابتغاء وجه الله، وابتغاء ما عند الله -جل وعلا- من الثواب: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» كما في الصحيحين عنه -صلى الله عليه وآله وسلم-، فيجب على العبد أن يتحرى ذلك، وأن يعاهد نفسه في أن يأتيَ بهذا الأمر العظيم، وهذا الركن العظيم، لقَبول العمل، ومعلومٌ أن العملَ لا يُقبل إلا بركنين: الإخلاص لله -جل وعلا-، والاتِّباع لرسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ الملك: ٢، أي أخلصه وأصوبه:

* فأخلصه ما كان لله.

- وأصوبه ما كان على سنة رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم-.

قد ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله- في مواطن من كتبه كـ: اجتماع الجيوش الإسلامية، وزاد المعاد، وغيرهما: أن العباد كلُّهم سيُسألون عن أمرين اثنين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

- **فالأول:** جوابه بتحقيق تجريد التوحيد لله -عز وجل-.
- **والثاني:** جوابه بتحقيق تجريد الاتِّباع لرسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

فيجب على الحاج أن يقصد بهذا الحجَّ أو هذه العمرة وجه الله، أي يُخلص لله -عز وجل-.

قال: **"والتقرُّبَ إلى اللهِ بما يُرضيهِ من الأقوالِ والأعمالِ في تلك المواضعِ الشريفةِ"**

فإذا ما استحضر العبد أنه يقف في هذه المواقف العظيمة والشريفة، وتلك الأماكن المباركة، بجوار بيت الله الحرام، أو في مَشْعَرِ عرفات، أو في مَشْعَرِ مِنًى، أو في مزدلفة، يستحضر أن هذه الأماكن المباركة الشريفة، فيزدادُ من الأقوال، ويزدادُ من الأعمال التي تُقربه من الله -جل وعلا-، هي نعمةٌ أنعم الله بها عليك أن مَكَّنَكَ الوصول إلى هذه الأماكن العظيمة الشريفة، فالواجب عليك أن تحرص كل الحرص في الاستزادة بالطاعات، والتقرب إليه -جل وعلا- بأنواع الطاعات والقُرَب.

قال الإمام سلمة بن دينار -رحمه الله- أبو حازم: **"كل نعمةٍ لا تقربك من الله فهي بَلية"**، أنعم الله -عز وجل- عليك بنِعم كثيرة، ومن تلك النعم -بالنسبة للحاج أو المعتمر- أن بلغه الله تلك الأماكن، فلم يستغل تلك الأوقات، وتلك الساعات، وتلك الأيام فيما يقربه إلى الله -جل وعلا-، هو خاسرٌ في الحقيقة، جاء عند ابن أبي شيبة في: المصنف أن مسروق حَجَّ **"فما نام إلا ساجدًا"**، والمراد أنه -رحمه الله-، هي أيام وليال، ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ البقرة٢٠٣ يرى أنها أيام قليلة يسيرة، يجتهد فيها بالطاعات ليفوز بالوعد: « خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» أراد كذلك -رحمه الله-، فاجتهد كل الاجتهاد، في الساعات، والليالي، والأوقات بإعمارها بالطاعات، قالوا: **"حج فما نام إلا ساجدًا"** المراد: أنه غفت عينه، ليس النوم الذي هو الغطيط، يغطُّ فيه، لا؛ إنما المراد به: النعاس الذي يأتيه في حين سجوده.

فيجب على العبد أن يُسارع في مثل هذه المقامات التي مَنَّ الله -عز وجل- عليه بها من التزود بكثرة قراءة القرآن، والذكر لله -جل وعلا-، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبذل الخير للغير، وإعانة المحتاج، وبذل العون لمن يريده، سواءً كان حسيًّا أو معنويًّا، فيما يستطيعه المرء، تلك أماكن وساعات وأيام وليالي يجب أن يقضيها العبد فيما يقربه من الله -جل وعلا-.

فهنا الشيخ يوصي من بلغ تلك الأماكن بالتقرُّب إلى الله بما يرضيه من الأقوال والأعمال في تلك المواضع، ويجب أن يعلم أن خير ما يتقرب إلى الله -عز وجل- به في تلك المواضع: القيام بما هو مشروع له القيام به في تلك المواضع، ثم يتزود من بعد ذلك بنوافل العبادات والطاعات.

ثم قال: **"ويحذرَ كل الحذرِ من أن يقصد بحجه الدنيا وحُطامِها، أو الرياء والسمعة والمفاخرة بذلك، فإنَّ ذلك من أقبح المقاصد، وسببٌ لحبوط العمل وعدمِ قَبوله"**

نعوذ بالله من ذلك، وهذا متعلق بالأمر أو بالوصية الأولى التي ذكرها في المقام بوجوب أن يقصد بحجه وعمرته وجه الله والدار الآخرة؛ لأن هذا دليل على إخلاصه، ويحث على وجوب معاهدة الإخلاص، ويحذره -أيضًا- من ضد ذلك؛ من أن يبحث في حُطام الدنيا، أو أن يكون قصده من حجِّه أو عمرتِه حُطام الدنيا.

"أو الرياء، أو السمعة، والمفاخرة بذلك" بأنه مُكثر من الحجَّ ونحو ذلك، **"فإنَّ ذلك** -أي هذه الأمور والعياذ بالله- **من أقبح المقاصد، وسببٌ لحبوط العمل وعدمِ قَبوله"** وذلك لأن المرء لم يخلص لله -جل وعلا-، يقول الله -جل في علاه- محذرًا: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ ﴿٦٦﴾﴾ الزمر: ٦٥-٦٦، أي أخلص له، واحذر من الإشراك به -جل وعلا-، ومنه الرياء كما سيأتي في كلام الشيخ ممَّا ذكره من الحديث.

فيجب على العبد أن يحذر كل الحذر، وحديث عمر الذي مَرَّ ذكره لكم في الصحيحين، أن النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

يقول الإمام ابن رجب -رحمه الله- لَمَّا ذكر -صلى الله عليه وسلم- أن الأعمال بحسب النِيَّات، وأن حظ العامل من عمله نيته من خير أو شر، قال: **"وهاتان كلمتان جامعتان، وقاعدتان كُلِّيَّتان، لا يخرج عنهما شيءٌ أبدًا"**، قال: **"ذكر بعد ذلك مثالًا من أمثال الأعمال التي صورتها واحدة"** «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» هذا هاجر وهذا هاجر، ولكن هذا نيته بهجرته لله ولرسوله -صلى الله عليه وسلم-، وذاك هاجر ولكن الهجرة يريد بها الدنيا أو حُطام الدنيا -والعياذ بالله-، قال: **"ذكر بعد ذلك مثالًا من أمثال الأعمال التي صورتها واحدة، ويختلف صلاحها وفسادها باختلاف النيات، وكأنه يقول: سائر الأعمال على حَذْوِ هذا المثال"** انتهى كلامه -رحمه الله-.

فليحذر العبد كل الحذر من أن يأتي بما ينافي الإخلاص في هذه العبادة العظيمة، وفي سائر أنواع العبادات.

قال الشيخ -رحمه الله-: "كما قال الله -تعالى-: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ هود: ١٥-١٦.

وأظنه لا يخفى عليكم -بارك الله فيكم- حديث مسلم في الصحيح، فيمن تُسَعَّرُ بهم النار يوم القيامة، ومنهم رجلٌ قاتل وجاهد فيؤتى به «قَالَ: قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِكَ حَتَّى اسْتُشْهِدتُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَرِيءٌ وَقَدْ قِيلَ، فَأُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ»، وذكر -عليه الصلاة والسلام- أيضًا من تعلم علمًا، أو قرأ القرآن: «تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ»، وهكذا المنفق مِمَّن آتاه الله مالًا، فينفقه رياء وسمعة «قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ شَيْءٍ يَجِبُ أَنْ يُنْفَقَ فِيهِ إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهِ لَكَ، فَقَالَ: كَذَبْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَوَّادٌ فَقَدْ قِيلَ» الحديث،

فليس للمرء -والعياذ بالله- إلا ما قد قيل، أنت أردت بالعمل الدنيا، قد قيل هذا، هذا جزاؤك؛ أن يقول الناس عنك أنك جواد، أنك كريم، أنك شجاع، أنك قارئ، أنك كذا، قد قيل، هذا هو حظك، «وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» هذا هو الحظ، وهذا هو النصيب -نعوذ بالله-.

ولهذا جاء عن معاوية -رضي الله تعالى عنه- أنه كان إذا قرأ هذا الحديث بكى -رضي الله تعالى عنه-، واستحضر قول الله -جل وعلا-: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ هود: ١٥-١٦.

ثم قال الشيخ: "وقال الله -تعالى-: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ الإسراء: ١٨-١٩".

ثم ذكر الشيخ -أيضًا- قال: "وصحَّ عنهُ -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «قَالَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ»"

هذا الحديث أخرجه مسلم في الصحيح، من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه-، وجاء عند ابن ماجه بلفظ: «فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»، فيجب على المرء أن يحرص كل الحرص على أن يُحافظ على إخلاصه لله -جل وعلا- في هذا النسك العظيم، وفي هذه الشعيرة العظيمة، وفي سائر عباداته، وتقرباته إلى الله -جل وعلا-، وفي الحديث الصحيح القدسي عند البخاري وغيره، قوله -جل وعلا-: «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ»، ويتقرب إليه -جل وعلا- يريد بذلك التقرب إلى الله -جل في علاه-، ويحذر كل الحذر مما يَنقُض الإخلاص أو يخدشه، أو يناقضه من كل وجه:

من الإشراك بالله -جل وعلا-، أو الوقوع في الرياء؛ ولهذا ذم الله -جل وعلا- المُرائين في آياتٍ كثيرة، قال الله -جل وعلا-: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ النساء:١٤٢، ويقول -جل في علاه-: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾ الماعون:٤ - ٧، ويقول -جل وعلا- أيضًا مُحذرًا: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الأنفال:٤٧، فيحذر العبد كل الحذر من هذا الفعل، وهذا الأمر، حتى لا يقع في المحذور.

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-:

وينبغِي له أيضًا أن يَصحبَ فِي سفرِه الأخيارَ من أهل الطاعةِ والتقوى والفِقهِ في الدينِ،

ويَحْذرَ من صُحبةِ السُّفهاءِ والفُسَّاقِ،

ويَنْبغِي له أن يتعَلَّمَ ما يُشْرَعُ لَه في حجِّه وعمرتِه، ويتفقَّه في ذلكَ، ويسألَ عمَّا أشكلَ عليه؛ ليكونَ على بصيرةٍ،

فإذا ركبَ دابتَه أو سيارتَه أو طائرتَه أو غيرَها من المركوبات، اسْتُحِبَّ له أن يُسَمِّي الله -سبحانه- ويحمده، ثم يُكبِّر ثلاثًا، ويقولَ: «﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ الزخرف ١٣-١٤ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا البِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ العَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هذا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المَنْظَرِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ» لصحةِ ذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، أخرجَهُ مسلمٌ من حديث ابنِ عمرَ -رضي الله عنهما-.

ويُكْثِرَ في سفرِه من الذِّكرِ والاستغفارِ، ودُعاءِ الله -سبحانه- والتضرُّعِ إليه،

وتلاوةِ القرآنِ وتدبرِ معانيه،

ويحافظَ على الصلواتِ في الجماعة،

ويحفظَ لسانَه من كثرةِ القيلِ والقالِ، والخوضِ فيما لا يَعْنيه، والإفراطِ في المزاحِ،

ويصون لسانه أيضًا من الكذبِ، والغيبةِ، والنميمةِ، والسخريةِ بأصحابِه وغيرهم من إخوانِه المسلمين.

وينبغي له بذلُ البِرِّ في أصحابه، وكَفُّ أذاه عنهم، وأمرهم بالمعروفِ، ونهيهم عن المنكرِ بالحكمة والموعظةِ الحسنة، على حَسَبِ الطاقة.

الشرح:

ثم ختم هذا الفصل -رحمه الله- بهذه المسألة، وهي معنونٌ لها في هذه النسخة بقوله: "مسألةٌ: الأمور التي ينبغي للحاجِّ فعلُها قبلَ الحجِّ".

قال -رحمه الله-: "وينبغِي له -أي للحاجِّ أو المعتمر- أيضًا أن يَصحبَ فِي سفرِه الأخيارَ من أهل الطاعةِ والتقوى والفِقهِ في الدينِ، ويَحْذرَ من صُحبةِ السُّفهاءِ والفُسَّاقِ"

هذا من وصيته -رحمه الله- وحرصه، ونصحه للمسلمين، وعلى وجه الخصوص: من أراد الحجَّ والعمرة، أنه ينبغي للعبد المقبل على هذا النُّسك أن يصحب في هذا السفر "الأخيارَ من أهل الطاعةِ والتقوى والفِقهِ في الدينِ، ويَحْذرَ من صُحبةِ السُّفهاءِ والفُسَّاقِ"، وهذا منه -رحمه الله- مُقتبسٌ من قوله -جل وعلا-: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ الكهف: ٢٨، وأيضًا مأخوذٌ من قوله -جل وعلا-: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ٣٥﴾ طه ٢٩-٣٥، ومستقًى أيضًا من قوله -صلى الله عليه وآله وسلم- في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله تعالى عنه-، أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ ونافِخِ الكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أنْ يُحْذِيَكَ -أن يعطيك يعني-، وَإِمَّا أنْ تَبْتاعَ مِنْهُ، وإمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ،

وإمَّا أنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً» أي منه -والعياذ بالله-، فلهذا يجب على المرءِ أن يصحب الأخيار، وأهل التقوى، ويتأكد هذا الأمر في حين السفر.

وعند أبي داود أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ صَاحِبٌ إِذَا ذَكَرْتَ اللهَ أَعَانَكَ، وَإِذَا نَسِيتَ ذَكَّرَكَ» أي: من تصحبه ويكون معك، خير هؤلاء: من إذا نسيت ذَكَّرَك ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤﴾ طه ٢٩-٣٤، خير الوزير من إذا ذكرت أعانك، وإذا نسيت ذَكَّرَك، ولهذا صُحبة أهل الخير، وأهل الصلاح، والتقوى، والفلاح، وأهل الفضل، والخلق الرفيع تُعين العبد -بإذن الله تعالى- على فعل هذه الطاعات، والبُعد عن مساخط الله -جل وعلا-.

قال: "والفِقهِ في الدينِ"

الذين يُمَيِّزون بين الحلال والحرام، ويعرفون الحق والصواب من الباطل والخطأ؛ ليرشدوه ويدلوه على ما ينفعه، ويعينه، ويقربه من الله، ذلك أن الفقه في الدين يقود العبد إلى تقوى الله-جل وعلا-، جاء في الصحيحين من حديث معاوية -رضي الله تعالى عنه-، أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-يقول: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفقِّهْهُ فِي الدِّينِ»

قال النووي -رحمه الله- في شرح مسلم: **"فيه فضل العلم، والحثُّ عليه، وفضل أهله، وسَببُهُ أنه قائِدٌ إلى تقوى الله"**، فمصاحبة أهل الخير، والفقه في الدين، تُعين العبد -بإذن الله- على أن يؤدي هذا النُّسك على وجهٍ صحيحٍ بإذنه -تعالى-.

"ويَحْذرَ من صُحبةِ السُّفهاءِ والفُسَّاقِ"

لأن هؤلاء صحبتهم تضره ولا تنفعه، بل على العبد -أيضًا- حتى في غير قيامه بهذا النُّسك أن يبتعد عن صحبة من تضره صحبته، إذا كانت صحبة من تضرك مصاحبته في أمور الدنيا، فكيف تَصْحَب من تضرُّك صحبته في أمور الدين؟! فيجب الحذر من هذا والانتباه، قال الله-جل وعلا-: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ الكهف: ٢٨، هذا هو الواجب، فيحذر العبد من صحبة هؤلاء.

كذلك ينبغي له أن ينتبه من صحبة؛ قد يكون غير فاسق ولا سفيه، لكن عنده شَطَطٌ وغفلة، فقد يضره أيضًا، وقد ذكر العلماء شروط الصحبة والصاحب، ومنهم الإمام ابن قدامة -رحمه الله-؛ فليُرَاجَع.

قال: **"ويَنْبغِي له أن يتعَلَّمَ ما يُشْرَعُ لُه في حَجِّه وعمرته، ويتفقَّه في ذلكَ، ويسألَ عمَّا أشكلَ عليه؛ ليكونَ على بصيرةٍ"**

يريد الشيخ أن يرشدك إلى أنه، وأنت مُقْدِم ومُقْبِلٌ لأداء هذا النسك العظيم، وهذه الشعيرة المباركة، سواءً كان حجًّا أو عمرة، أن العبد يجب عليه، ويتعين في حقه، أن يتعلم ما يتعلق بهذه العبادة؛ بمعنى: كيف يصح منه أداؤها؟ وما الذي يجب عليه أن يحذره؟ حتى لا يقع فيما يُفْسِد حجَّه، أو يُنْقِصَ أجره منه، فيتعلم ما يتعلق بهذا النسك، ويتفقه في ذلك، فإن أشكل عليه سأل أهل العلم، وأهل الذكر؛ امتثالًا لقول الله -جل وعلا-: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ النحل:٤٣

ومعلوم -بارك الله فيكم- أن الإمام البخاري -رحمه الله- عقد في كتاب العلم بابًا، فقال: **"باب: العلم قبل القول والعمل"**، واستدل في ذلك بقول الله -جلَّ وعلا-: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ محمد: ١٩، قال: **"فبدأ بالعلم قبل القول والعمل"** تفقه في الدين، ومعرفة الأحكام، ما يحل لك فعله، وما يحرم عليك فعله، ما يجوز لك فعله، ما يكره لك فعله، خاصةً في هذه الأنساك، ما يجب عليك أن تحذره، مهمٌ جدًّا، حتى لا تقع -كما قلنا- فيما يناقض، أو يفسد الحج، أو ينقصه.

أقول: ولهذا ذهب بعض أهل العلم عمومًا في مسألة: العلم قبل القول والعمل، ذكر بعض أهل العلم إلى أن العلم شرطٌ في صحة العمل، واستدلوا بالآية آنفة الذكر، وبكلام الأئمة في هذا المقام، يجب على الإنسان أن يتعلم، وأن يعلم ما يجب عليه أن يفعله في هذه العبادة، وهذه الشعيرة، وإذا ما أشكل عليه أمرٌ -كما قال الشيخ- سأل **"ليكونَ على بصيرةٍ"** أي: على فقه وعلى علم ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ يوسف: ١٠٨

﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى نفسي، ولا إلى جاهٍ، ولا إلى منصب، ولا إلى حظٍ أو حطامٍ من حطام الدنيا، ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: على فقهٍ وعلم، ﴿أَنَا۠﴾ أي: أدعو إلى الله على بصيرة، ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ أي: يدعو إلى الله كذلك على بصيرة، والحمد لله قد يسر الله -جل وعلا- على الحُجَّاج والمعتمرين في هذه البلاد المباركة في تلك الأماكن من يرشدهم ويدلهم في أماكن هذه المشاعر، فإذا أشكل على العبد شيئًا، سأل هناك من يبين له الصواب -بإذن الله تعالى-.

قال: " **فإذا ركبَ دابتَه أو سيارتَه أو طائرتَه أو غيرَها من المركوبات، اسْتُحِبَّ له أن يُسَمِّي الله -سبحانه- ويحمده، ثم يُكبِّر ثلاثًا، ويقول:** «﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾ الزخرف ١٣-١٤»"

ثُم ساق الشيخ، يريد بهذا: دعاء السفر، وهذا الحديث قال الشيخ -رحمه الله- في ختمه: "**لصِحةِ ذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، أخرجَهُ مسلمٌ من حديث ابنِ عمرَ -رضي الله عنهما-**"، ولهذا الحديث هذا؛ حديث دعاء السفر، أخرجه الإمام مسلمٌ في كتاب الحج، وبَوَّبَ له النووي -رحمه الله-: "**باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحجِّ وغيره**".

ثم قال الشيخ مُوصِيًا -أيضًا- الحاجَّ والمعتمر، قال: "**ويُكْثِرَ في سفرِه من الذِّكرِ والاستغفارِ، ودُعَاءِ الله -سبحانه- والتضرُّعِ إليه**"

فالعبد مُقْبِل إلى نسك وإلى قربة، فكلما ازداد العبد قربة، استكثر -أيضًا- من القربات مرة فمرة، ذلك أن الطاعة تدل إلى أختها، والمعصية تدل إلى أختها.

جاء عند ابن أبي شيبة في المصنف، أن عروة بن الزبير قال لابنه هشام -رحمهم الله ورضي الله عنهما-، قال: "إذا رأيت الرجل يأتي الطاعة فاعلم أن له عنده منها أخوات، وإذا رأيت الرجل يأتي المعصية فاعلم أن له عنده منها أخوات، فإن الطاعة تدل إلى أختها، وإن المعصية تدل إلى أختها" نعوذ بالله من ذلك.

قال: "وتلاوةِ القرآن وتدبرِ معانيه" أي: يفعل هذا، ويحرص عليه.

"ويحافظَ على الصلواتِ في الجماعة" لا يتكاسل، بما أن هذه المقامات هناك، يصلي العباد ويصلي معهم، وإن كان في سفرٍ يصلي معهم جماعة لأن الجماعة قائمة، يصلي معهم في جماعة ويحافظ على ذلك، فإن هذا دليل على حرصه وحبه للخير.

قال: "وأن يحفظَ لسانَه من كثرةِ القيلِ والقالِ، والخوضِ فيما لا يَعْنيه، والإفراطِ في المزاحِ" لقوله -صلى الله عليه وآله وسلم- فيما أخرجه الشيخان: «إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ» فيجب على الإنسان أن يحرص يحفظ اللسان

اِحفَظ لِسانَكَ أَيُّها الإِنسان ۞۞۞ لا يَلدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعبانُ

فيحرص العبد على أن يحفظ هذا اللسان، قال -صلى الله عليه وآله وسلم- كما في الصحيحين: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» القيل والقال، والكلام الكثير فيما لا فائدة فيه ممَّا يُقَسِّي القلب، ويخرجه عن المقصود والمراد فيما أتى من أجله، هذا مَضْيَعَة ومفسدة للعبد لا تعود عليه بالخير؛ لذا الشيخ يحثُّ ويوصي بأن المرء يحفظ لسانه من الكلام الكثير مما لا فائدة فيه، ومما لا يعنيه، وأن لا يفرط في المزاح، هو في مقامٍ عظيم يجب أن يحفظَ جوارحه من ذلك.

"وأن يصون لسانه أيضًا من الكذبِ، والغيبةِ، والنميمةِ، والسخريةِ بأصحابِه وغيرهم من إخوانِه المسلمين"

يحفظ جوارحه كلها، هو جاء لعبادة؛ يجب عليه أن يَتَمَثَّلَ العبادة وما يقربه من الله، ويبتعد عن مساخطه-جل وعلا-.

قال: **"وينبغي له بذلُ البِرِّ في أصحابه، وكَفُّ أذاه عنهم، وأمرُهم بالمعروفِ، ونهيهم عن المنكرِ بالحكمة والموعظة الحسنة، على حَسب الطاقةِ "**

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ الطلاق، وهذا منه إشارة -رحمه الله- إلى أن بذل المعروف، وبذلُ البر، وكفِّ أذاك عن الغير وغير ذلك؛ كل هذا من المروءة وحسن الخلق.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله- فيما ذكره الإمام الذهبي في ترجمته من: السير، قال -رحمه الله-: **"للمروءة أركانٌ أربعة: حسنُ الخلقِ، والسخاءُ، والتواضع، والنُّسُك"** أي التعبُّد.

وجاء في التمهيد مُسْنَدًا إلى ربيعة بن عبد الرحمن أنه قال: **"للسفر مروءة، وللحضر مروءة، فأما مروءة السفر: فبذل الزاد، وقلة الخلاف على الأصحاب، وكثرة المزاح في غير مساخط الله"** هذا الكلام على وجه السفر عمومًا، **"وأما المروءة في الحضر: فبالإدمان إلى المساجد"** أي: المسارعة إليها، وحضور الجماعات والجُمَع **"وتلاوة القرآن، وكثرة الإخوان في الله"** ليَتَقوَّى بهم على طاعة الله -جل وعلا-، أي: الإخوة الذين يُعينونه في قيامه بطاعة الله -جل وعز-.

نسأل الله أن يبارك لنا ولكم في الأعمال والأعمار والأوقات، وأن يوفقنا لما فيه رضاه،

وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله وآله وصحبه.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا.